الفصل الثاني

تاريخ اسدود

اسدود قديماً ، القلعة

اسدود حديثاً

مخطط القرية

مساكن القرية

المقامات الدينية

القرى المجاورة

اسدود قديما ، القلعةُ

تفيد نتائج الحفريات الأثرية التي قامت بها بعض الجامعات الأمريكية في اسدود في الستينات من القرن العشرين، بأن بدايات نشأة المدينة كانت في أوائل العصر البرونزي المتأخر (3000-2100) ق.م. وغالبا أن العناقيين ، وهم احدى الأقوام الكنعانية ، كانوا المؤسسين الأوائل للمدينة ، وأطلقوا عليها اسم أشدود بمعنى **"القلعة"**. واختاروا موقعها فوق تل مرتفع يسهل الدفاع عنه، ويرتفع عن سطح البحر حوالي 42 مترا ، وتبعد عن شاطئه نحو 4 كم ، وإلى الشمال منها نهر سكرير (صقرير) الذي يعتبر أغزر الأودية التي تخترق السهل الساحلي الجنوبي من فلسطين والذي يستعمد مياهه من واديين يبدءان من جبال الخليل: الأول وادي السنط، والثاني وادي الخليل. وعند اسدود يجتمعان في مجرى واحد يعرف بوادي العسل ثم يتجه شمال غرب ليصبح نهر سكرير ويصب في البحر المتوسط قرب النبي يونس.

تكاد تجمع المصادر التاريخية، وتدعمها نتائج الحفريات الأثرية، بأن تاريخ تأسيس اسدود كان بين (1800-1700) ق.م. ومنذ نشأتها احتلت المدينة مركزا تجاريا هاما، وكان لها ميناء على البحر المتوسط يقوم بخدماتها التجارية. كما استفادت من موقعها الإستراتيجي الحصين ومدت نفوذها على منطقة زراعية واسعة، مما عزز مكانتها التجارية وسلطتها السياسية.

ونعرف من تاريخ مصر القديم، أنه حين نجح الفراعنة في تحرير بلادهم من الهكسوس في أوائل القرن السادس عشر ق.م.، تعقبوهم إلى فلسطين وسوريا ولما كانت اسدود ذات موقع هام على طريق الغزو، فقد قام المصريون بتعزيز تحصينات المدينة لحماية خطوط مواصلاتهم الحربية والتجارية وأقاموا بها حامية لهذا الغرض. وهناك لوحات أثرية عثر عليها في رأس شمرة (اوغاريت) بشمال سورية تفيد بقيام علاقات تجارية مع اسدود في تلك الحقبة. فقد وصلت إلى سوريا بحرا بضائع منها ملابس كتانية من اسدود وعسقلان. ويستدل من ذلك على وجود حركة صناعية في المدينة في ذلك العصر. ومع قدوم أقوام الباليستا الذين جلبوا معهم الحديد، دخلت اسدود العصر الحديدي في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م. وبذلك انتقلت المدينة نقلة نوعية في الميادين العسكرية والسياسية والصناعية. وتفيد السجلات التاريخية إلى أن اسدود قد تعرضت لتدمير شامل حوالي 1300 ق.م. قبيل قدوم الفلسطينيين إليها.

لقد حاولت أقوام بحر ايجه (الباليستا) النزول على الشواطئ المصرية لكنهم جابهوا مقاومة شديدة، فارتدوا خائبين. وأخذوا يبحثون عن شواطئ أخرى حتى استقر بهم المقام في الأجزاء الجنوبية من الساحل الشرقي للبحر المتوسط – من غزة شمالا حتى اسدود. فاستقروا في غزة وعسقلان واسدود ووجدوا الأخيرة مدمرة فأعادوا إعمارها، وبعد مدة اتخذوها عاصمة لهم، ومركزا لمعبودهم الإله "داجون". وتدريجيا أخذ نفوذهم ينمو ويمتد نحو الداخل، فأقاموا عقرون "عاقر" وجت "تل الصافي".

ومما يجدر ذكره أن أرض كنعان (فلسطين) في هذه الحقبة التاريخية (القرن الثاني عشر ق.م.) تعرضت لغزوتين: إحداهما من الشرق والأخرى من الغرب. أما غزوة الشرق فقام بها العبرانيون بعد فرارهم من مصر، واستقروا في المناطق الجبلية بعد أن فشلوا في مد نفوذهم غربا لوجود أقوام (الباليستا) هناك. وهكذا ظل الساحل الجنوبي في أيدي الفلسطينيين حتى في أوج النفوذ العبراني.

وفي القرن الحادي عشر (1050) ق.م. هاجم العبرانيون (اليهود) اسدود، لإشباع شهوة التوسع لديهم، ولكن الفلسطينيين صدوهم ودحروهم بعيدا، ودارت المعركة الحاسمة في رأس العين بين اللد ويافا، وانتصر الفلسطينيون عليهم انتصارا مشهودا واستولوا على "تابوت العهد" الذي كان اليهود يحفظون فيه شرائعهم، وحملوه معهم إلى اسدود، ووضعوه في معبد إلههم "داجون".

وكما ذكرنا أعلاه في المقدمة التاريخية، أن موقع اسدود الإستراتيجي الهام على الطريق الدولي الذي يربط مصر والبلاد السورية، وموقعها بين قوتين عظيمتين في وادي النيل وحوض الرافدين جعلها تعاني كثيرا من ويلات الحروب والدمار بين هذه القوى المتصارعة على بسط نفوذها وسيطرتها الكاملة على تلك المناطق.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد، اكتسحت الجيوش الأشورية سوريا وفلسطين – فقامت بتصفية الدولة اليهودية القائمة في شمال فلسطين سنة 722 ق.م. كما دخلت المدن الفلسطينية ومنها اسدود التي لم تستسلم تماما، فثارت ضد هذا الاحتلال ووجدت دعما وتأييدا من حكام مصر. فقام الحاكم الأشوري الجديد سرجون الثاني بمحاصرة المدينة لثلاث سنوات، عانت اسدود خلالها كثيرا من آثار الحصار الطويل (715-712) ففتحها الأشوريين (711 ق.م.)واتخذها سرجون عاصمة لولاية أشورية. وبعد حوالي نصف قرن، نشب الصراع من جديد بين مصر وأشور. فقاد حاكم مصر ابساميتكوس جيوشه لملاقاة الأشوريين في فلسطين فاصطدم بمدينة اسدود المنيعة فحاصرها مدة ثلاثة عقود حتى تمكن من الاستيلاء عليها عام 630ق.م وهذا الحصار هو الذي وصفه المؤرخ اليوناني المشهور هيرودوت بأنه كان أطول حصار في التاريخ.

وبعد ذلك جاء البابليون وسيطروا على فلسطين وسوريا بقيادة نبوخذ نصر الذي قضى على الدولة اليهودية في الجنوب واحتل القدس ودمر معبدهم وأسر أعدادا كبيرة من سكانها واصطحبهم معه إلى بابل، وهذا ما يعرف بالسبي البابلي عام 586 ق.م. لكن عهد السيطرة البابلية لم يستمر طويلا. ففي القرن السادس ق.م سيطر كورش، حاكم فارس، على بابل، وهناك عقد صفقة مع اليهود بإعادتهم إلى فلسطين مقابل تقديم المساعدة لجيوشه في زحفها نحو مصر. وهذا التوسع الفارسي لم يعمر طويلا أمام الغزو المقدوني الجارف بقيادة الاسكندر الأكبر. ففي القرن الرابع (332 ق.م.) اكتسحت جيوش الاسكندر منطقة الشرق بكاملها فوقعت اسدود تحت سيطرتهم.

وأصبح اسمها في العصر الهليني (أزوتّس-Azotus). وتفيد الحفريات الأثرية إلى أنها استعادت قسطا كبيرا من شهرتها القديمة صناعيا وتجاريا وحافظت على ديانتها بالرغم من طغيان الحضارة الهلينية. وحين انقسمت إمبراطورية الاسكندر بعد وفاته، كانت اسدود ضمن دولة البطالمة ثم الدولة السلوقية ومع ذلك حافظت على ازدهارها وتقدمها مما حدا بالمؤرخ هيرودوت أن يطلق عليها "مدينة سوريا الكبرى". ودعما لأحقية هذا الوصف فإن الحفريات الحديثة تؤكد على أنها كانت مدينة على جانب كبير من الحضارة والثروة المادية والفنية. فقد اكتشفت اعداد كبيرة من التماثيل والأواني الفخارية والأدوات الموسيقية. وكانت أوزانها هي السائدة في المنطقة. وهذا يدل على أهميتها التجارية والزراعية والنهضة الصناعية.

هذا الازدهار والتقدم في جميع مناحي الحياة زاد من رقعتها الجغرافية، مما دفع اليهود، اشباعا لشهوة التوسع وطمعا في خيراتها، في القرن الثاني (165 ق.م.) إلى احتلالها وهدم معبدها وإشعال النار فيها وفي مزارعها والقرى التابعة لها انتقاما، حتى لا تقوم لها قائمة بعد ذلك.

وحين الفتح الروماني بقيادة بومبي سنة 63 ق.م.، كانت اسدود مهدمه وفي حالة يرثى لها من آثار الحروب والحرائق، فقام القائد الروماني غابينوس بإعادة اعمارها سنة 55 ق.م. وأعاد إليها سكانها وأصبحت تابعة لولاية سورية واستعادت شيئا من شهرتها وجمالها. وفيما بعد، وهبها الإمبراطور أغسطس لهيرود الكبير وهذا حين وفاته أوصى بها لأخته سالومي، التي بدورها تركتها إلى ليفيا أخت الإمبراطور الجديد تيباريوس.

وفي هذه التطورات دليل واضح على أهمية المدينة وغناها وجمالها وشهرتها في تلك الحقبة التاريخية. وفي عهد الإمبراطور فسبسيان أعيدت إلى أملاك الدولة.

وفي القرن الأول للميلاد، اعتنق معظم سكان فلسطين، ومنهم سكان اسدود، النصرانية. وفي القرن الثالث الميلادي أصبحت المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، وغدت اسدود مركز أبرشية، يرأسها أسقف. وقد اشتهر من أساقفتها أربعة: سلفانوس، كاربوس، هراكليوس، ولازارويوس. وكان الأول أشهرهم وقد شارك في المجمع المسكوني الأول في نيقيه عام 325م الذي تركزت مناقشاته حول طبيعة المسيح، والثالث شارك في المجمع المسكوني الرابع الذي عقد في خلقيدونية عام (449-450 م) على مضيق البوسفور. وفي عام 400 م تحسن الوضع العام لاسدود فأصبحت مركزا لمقاطعة تشمل مساحة كبيرة تمتد أحيانا إلى مسافة 30 كم فضمت قرى عاقر، وقطرة، واذنبة (كان اسمها "دانب" في العصر الروماني).

وفي العهد البيزنطي قامت مدينة أخرى على البحر تعرف باسم "أزوتس بارالياس" وعرفت في العهد الإسلامي باسم مينة اسدود القلعة أو "ماحوز اسدود" ، كما ذكرها الجغرافي العربي محمد بن أحمد المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم:

وبعد إتمام الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، وقيام الدولة الأموية وكذلك العباسية نشطت الحركة العلمية، وزار اسدود كثير من الجغرافيين المسلمين وذكروها في مؤلفاتهم ومن أشهرهم ابن خرداذبه في كتابه " المسالك والممالك" في القرن الثالث الهجري وذكرها باسم ازدود وقال أنها محطة على طريق البريد بين مصر والشام، تقع بين محطتي غزة والرملة، كما زارها الجغرافي المشهور محمد بن أحمد المقدسي (القرن الرابع الهجري) ووردت في كتابه كذلك باسم "ازدود"، وأضاف بأن هناك مدينة على البحر اسمها "ماحوز ازدود" وهي ميناء للمدينة الداخلية. وكانت أحد الرباطات (الربط) الإسلامية المحصنة بالأبراج والقلاع على شواطئ البحر المتوسط في القرن الرابع الهجري، تحسبا للسفن الصليبية. ومن هذه الربط ذكر المقدسي: ميماس (قرب غزة)، عسقلان، ماحوز ازدود، ماحوز يبنا.

خضعت اسدود كغيرها من مدن الساحل للاحتلال الصليبي في القرن السادس الهجري (1118 م) ولم تكن ذات أهمية كبيرة لهم لأنها كانت قد فقدت مركزها القديم. ثم عادت إلى أملاك الدولة الإسلامية حين تمكن الأيوبيون والمماليك من تحرير جميع البلاد الإسلامية وطردوا الصليبين من آخر معاقلهم في عكا سنة 1291 م. وظلت اسدود قرية صغيرة طيلة الفترة المملوكية والعثمانية حتى القرن التاسع عشر حين أخذ يزداد عدد سكانها وتنشط زراعيا وتجاريا كما سيأتي ذكره.

وكثير من الرحالة المسلمين في العصر الحديث (العهد العثماني) زاروا اسدود وكتبوا عن المقامات الدينية والآثار الإسلامية فيها ومن هؤلاء: عبد الغني النابلسي (القرن الحادي عشرهـ) ومصطفى البكري-الصديقي، ومصطفى أسعد اللقيمي (القرن الثاني عشر هـ) ونزلوا في خان اسدود المشهور وكان بمثابة استراحة للمسافرين حيث كانت اسدود محطة رئيسة على الطريق بين مصر والشام. وكان الهدف الأساسي لهؤلاء الرحالة زيارة القدس فيدونون مشاهداتهم خلال أسفارهم خاصة في المحطات الرئيسة.

وكذلك شأن الرحالة الأجانب في رحلاتهم إلى الأراضي المقدسة كانوا يحرصون على زيارة المدن والقرى ذات الأهمية التاريخية أو تلك التي ورد ذكرها في العهد القديم والعهد الجديد، وهؤلاء كثر. سنتعرض لذكر بعضهم خاصة الذين زاروا اسدود.

اسدود حديثاً

تقع اسدود عند التقاء خط طول 117 مع خط عرض 129، في الجزء الجنوبي من السهل الساحلي الفلسطيني الخصب، على الطريق التجاري الدولي بين مصر والشام. وهي تقريبا في منتصف المسافة بين غزة ويافا وتبعد عن كل منهما حوالي 41 كم تقريبا. ومما اكسبها أهمية أكثر أن هذا الطريق الدولي ينقسم عند اسدود إلى فرعين: الأول يستمر على الساحل مرورا في : يبنا، يافا، ارسوف ثم عكا ومن هناك يتجه شرقا ثم شمالا إلى دمشق الشام. والثاني يتجه من اسدود إلى بشيت، عاقر، الرملة، قلنسوة، اللجون (مرج ابن عامر) ومنها شمال شرق إلى دمشق الشام.

وبعد الفتح الإسلامي احتفظت بموقعها كمحطة رئيسية على طريق البريد الهام بين القاهرة ودمشق واستمرت كذلك في العهد الفاطمي والمملوكي والعثماني. وقد أقام فيها الظاهر بيبرس الخان المشهور بمثابة استراحة للمسافرين وقوافل التجار وعمال البريد. وظل هذا الخان يقوم بهذه الخدمات حتى القرن التاسع عشر الميلادي (سيأتي ذكره تفصيلا فيما بعد).

قامت القرية على منحدرات التل الذي تأسست عليه اسدود التاريخية القديمة والتي تعرف بمنطقة "الرأس" وفي السفح الجنوبي الشرقي لهذا التل توجد المقبرة. والربوة التي تقوم عليها القرية تنحدر تدريجيا نحو الشرق والشمال الشرقي لمسافة نصف كيلو متر تقريبا. كما كان هناك جزء من القرية قائما في جنوب هذه الربوة، ترتفع القرية عن سطح البحر بحوالي 42 مترا، وتبعد عن شاطئه مسافة 3-4 كيلومترات. ويتوسطها الجامع الكبير الذي أقيم عام 1928 بمجهودات أهل الخير من السكان.

عدد بيوت القرية يتراوح ما بين (850-950) بيتا ومساحتها لا تقل عن 350 دونما حسب تقديرات عام 1948، أما تعداد سكانها فقد قارب خمسة آلاف نسمة وربما يزيد قليلا ، وكلهم عربٌ مسلمون.

وقد ذكرت بعض الكتب ومن أهمها كتاب "”All That Remains بأن سكان اسدود كان بينهم 290 يهودياً ، وهذه المعلومات لا تستند إلى حقائق. فلم يسكن في اسدود أي يهودي قط منذ بداية الفتح الإسلامي سوى الخواجة إبراهيم حبيب الذي فتح دكان أحذية في عام 1945 بجوار مقهى غبن ولكنه غادر البلدة في عام 1947، وكان من يهود تونس أو المغرب، ومن سكان مستعمرة جاديرا بجوار قرية قطرة.

وفي الغالب أن هذا الكتاب اعتمد على كتاب أصدرته حكومة الانتداب في عام 1946 عنوانه

“A Survey of Palestine” . وبالرغم من أنه يعتبر وثيقة رسمية لكنه ارتكب خطأُ صارخاُ في موضوع سكنى اليهود في اسدود ، دون أي مبرر مقبول. فلم تكن اسدود قرية مختلطة السكان أو الأديان.

تحيط بالبلدة حواكير(بساتين) مزروعة بأشجار الزيتون والفواكه وبعض الخضروات البعلية كالبندورة والكوسا والخيار وغيرها.

ومن أهم هذه المناطق: الرأس، الجرار ، المقطنة ، اقديس، والمعيصرة ثم انتشرت فيما بعد بيارات البرتقال التي أحاطت بالبلدة من جميع الجهات.

الطريق التاريخي القديم ، بين مصر والشام ، الذي كانت اسدود إحدى محطاته الرئيسية ، كان يدخل البلدة من الجنوب الغربي ويستمر باتجاه الشمال. وعلى هذا الطريق شيّدت مدرسة اسدود للبنين عام 1928 ، ومدرسة اسدود للبنات التي افتتحت عام 1942/1943.

وإلى الغرب من هذا الطريق كانت توجد مقامات ابراهيم المتبولي وسلمان الفارسي وخان اسدود المشهور.

وفي 1942 شقت حكومة الانتداب الطريق المعبدة (الأسفلت) قادما من غزة والمجدل محيطا بالقرية من الجنوب والشرق متجها شمالا حتى يلتقي بالطريق الغربي قبل محطة سكة الحديد، ويستمر إلى سكرير ويبنا ثم يافا. هذا الطريق انعش الحياة العمرانية والتجارية بالجزء الشرقي من البلدة بشكل خاص، فأقيمت عليه المحلات التجارية (الدكاكين) والمقاهي وبعض البيوت الحجرية (من الأسمنت المسلح).

وأصبحت المواصلات بين اسدود والمدن الفلسطينية متيسرة، كما نشطت الحركة التجارية مع يافا لتسويق منتوجات البلدة من خضار وفواكه. وخصصت شركة باصات يافا (شركة باميه) حافلة لاسدود تخرج صباحا من القرية إلى يافا وتعود إليها مساء. وهذا النشاط الاقتصادي شجع بعض السكان على شراء سيارات أجرة وسيارات شاحنة لنقل البضائع والمنتوجات الزراعية إلى الخارج.

الحقيقة أن الدافع الرئيسي لتأسيس هذا الطريق كان عسكريا، لتيسير حركة تنقلات الجيش البريطاني الذي أقام مئات المعسكرات في فلسطين تحسبا لتطورات الحرب العالمية الثانية، وخاصة تقدم قوات المحور في شمال أفريقيا، وفي الصحراء الغربية المصرية، وتهديد قناة السويس، الشريان الحيوي للإمبراطورية البريطانية.

إقامة هذا الطريق المعبد، ساعد على تأسيس معسكرين للجيش البريطاني قريبا من اسدود: إحداهما معسكر "أبو جهم" بين اسدود وحمامة، والثاني معسكر 69 جنوب القرية بينها وبين بيت دراس. وهكذا تهيأت ظروف لشباب اسدود للعمل في مجالات متعددة، مما ساعد على تحسين الأحوال الاقتصادية، وتطوير بعض نواحي الحياة الاجتماعية. كان بعض العمال يعملون بشكل دائم، والبعض الآخر يعمل موسميا، أي في الأوقات التي لا يعملون فيها بالزراعة.

كان يتوسط البلدة تقريبا الجامع الكبير الذي تم تشييده في أواخر العشرينات من القرن الماضي. وقد بني على نمط إسلامي رائع، له بهو كبير وأمامه رواق طويل قائم على أعمدة ذات أقواس جميلة، وله مئذنة مرتفعة في الركن الجنوبي الغربي من المبنى، وأمام الرواق من الجهة الشمالية ساحة كبيرة، في أقصاها دورة مياه للوضوء. بني الجامع بحجارة بيضاء كالحجر القدسي المشهور. كان إمام الجامع الشيخ محمود نجم، ويساعده أحيانا الشيخ عبد الحليم الحمامي والشيخ حسن البيومي.

وكان هناك مسجد آخر في حارة الجودة، أصغر حجما من الجامع الكبير، ولكنه قديم. ويتضح ذلك من انخفاضه عن مستوى البيوت المجاورة له، إذ كان ينزل إليه بحوالي عشر درجات، وبناءه بحجر قديم وبعقود وأقواس على النمط المعماري الإسلامي، وأرضية ساحته (صحن المسجد) مبلطة بالرخام. ويعتقد أن بناءه يرجع إلى أوائل العصر الإسلامي. وبساحته ضريح عليه بناء مرتفع للشيخ محمد البيومي جد دار الشيخ.

وكان هذا المسجد الوحيد في اسدود قبل بناء الجامع الكبير، وكان بجانبه بئر ماء للجودة يزود المسجد بالماء. وهذا البئر يروي بيارة الجودة التي كانت وقفا للصرف على المسجد من صيانة وسجاد. وكان من الأئمة الذين عملوا به الشيخ علي الفيومي والشيخ محمود نجم. وبعد بناء الجامع الكبير، كان يتناوب الإمامة فيه الشيخ حسن البيومي والشيخ محمد الحنفي. ويكاد يكون مسجدا خاصا بالجودة.

مخطط القرية

كان المخطط العام للقرية على شكل مربع تقريبا ، يتوسطه الجامع الكبير. وتخترقه ثلاثة شوارع رئيسة تتجه من الشرق إلى الغرب ، كما هو مبين في الرسم الملحق والمنشور في نهاية الكتاب ، كما يلي:

**أولها،** من الشمال شارع الجودة وهو امتداد للطريق القادم من قرية البطاني الغربي، ويتوسط حارة الجودة، وعند مقعد عطية الشيخ البيومي يتفرع إلى اثنين: واحد يستمر غربا إلى ساحة جامع الجودة، ومن هناك يمر بمعقد أحمد إبراهيم ثم إلى ساحة الجامع الكبير، والفرع الثاني يتجه جنوبا ثم غربا نحو حارة المناعمة حيث يلتقي بالشارع الأوسط في ساحة المطامير ومنها إلى الجامع الكبير.

**وثانيها،** الشارع الأوسط وهو امتداد أيضا لطريق آخر إلى قرية البطاني الغربي يمر بين بيارتي حميد وأبو شمله والحاج يونس. هذا الشارع يتجه غربا مخترقا حارة المناعمة والدعالسة حتى الجامع الكبير. وبعد الجامع يتحد مع شارع الجودة في شارع واحد متجها إلى حارة الزكاكتة (زقوت) ومنها إلى مقبرة القرية الواقعة في السفح الجنوبي الشرقي حواكير "الرأس" وهو التل الغربي الذي قامت عليه اسدود القديمة، ومن هناك إلى مدرسة البنين ومدرسة البنات حيث يلتقي مع الشارع الثالث.

**وثالثها،** شارع المصريين وهو امتداد للطريق القادم من قرية بيت دراس. وعلى جانبيه حارة المصريين، ومنه تتفرع عدة شوارع ضيقة بعضها يتصل بالشارع الأوسط الذي يؤدي إلى الجامع. هذا الشارع يسير غربا إلى المدرسة ومقام المتبولي والجرن الغربي وكذلك إلى المقبرة.

هذه الشوارع الثلاثة تصل بين الطريق المعبد (الأسفلت) في شرقي القرية وبين الطريق القديم في الغرب والذي يخترق حارة زقوت شمالا وجنوبا.

وهناك عشرات من الشوارع الضيقة أو ما تعرف بالأزقة (جمع زقاق) تصل بين الشوارع الرئيسة أو تتفرع منها موصلة إلى بعض البيوت دون أن تنفذ إلى غيرها.

وكان في القرية ثلاث ساحات عامة: المطامير الغربية (حارة زقوت) والمطامير الشرقية (حارة المناعمة) وساحة السوق (شرق القرية).

وتقوم حول هذه الساحات دكاكين البقالة واللحامين والحبوب. أما ساحة السوق الأسبوعي (يوم الأربعاء) فموقعها في طرف الخندق بين الشارعين الثاني والثالث. وقد إلتهم الاسفلت جزءا كبيرا من أرض السوق، فأصبح يقام في أرض الجرن الشرقي خاصة بعد انتهاء موسم الحصاد وأحيانا في جرن الجودة.

ومن المعالم الأخرى في القرية ، قامت ثلاث مقاهي على جانبي الاسفلت وقريبا من السوق: مقهى سعيد وجميل كتوع، مقهى أحمد ومحمد غبن، ومقهى خليل النجار. وكان هناك مقهى رابع بجوار الجسر الخشبي القائم على طرف الخندق لعبور المشاة خاصة في فصل الشتاء. كان المبنى ملكا لحسن غبن ويستأجره ويديره محارب داود وأخوته لكنه لم يعمر طويلا.

وبجوار مقهى دار غبن، كان هناك مصنع لحجارة الأسمنت والقرميد يملكه شخص من غزة من عائلة الحفني معروف باسم (الحاج قرميد)، وبجواره مطحنة حبوب يملكها محمد شحتوت (الأدعس). كما كانت هناك مطحنة حبوب أخرى شرقي الأسفلت يملكها سلمان أبو شمله وشركاه من الجودة بعد إقفال مطحنة الحبوب التي كانت ملحقة ببابور الجودة.

مساكن القرية

كانت بيوت القرية في غالبيتها العظمى مبنية من قوالب الطين المجففة بحرارة الشمس. وهذه الطين من نوعية خاصة ، فحين تخلط مع القصل (بقايا نبات القمح بعد استخلاص الحبوب) تصبح صلبة تتحمل أمطار الشتاء وخاصة بعد أن يتم طلاؤها (تلييسها) سنويا بطبقة أخرى تعويضا للتعرية التي تحدث جراء الأمطار الشتوية.

مساحة البيت عادة تتراوح بين (150- 500) مترا مربعا ، ونادرا ما يوجد بيت تزيد مساحته عن ذلك. أما النسق العام للبيت غالبا ما تكون جميع الغرف على الجوانب وتفتح أبوابها على الساحة الوسطى وهذه غير مسقوفة. وعموما تفتح أبواب الغرف شرقا أو شمالا وذلك لإتقاء الأمطار القادمة من الغرب، وحرصا على مواجهة الشمس صباحا من ناحية صحية. وإذا دعت الضرورة أن تفتح الأبواب غربا، فيكون أمامها رواق عريض يحول دون وصول المطر إليها، ويستعمل الرواق للنوم صيفا. أما إذا كان صاحب البيت ملاكا ويفلح أرضه بنفسه ولديه حيوانات فيبني في جهة نائية من البيت البايكه. وبجانبها متبن لتخزين التبن والقصل وأعلاف الحيوانات. وتكون بداخل البايكة مصطبة مرتفعة حوالي قدمين تقريبا ينام عليها الراعي أو الأبناء غير المتزوجين. أما الباب الرئيسي فيختلف من بيت إلى آخر حسب الضرورة، فباب بيت الفلاح لا بد أن يكون عريضا ومرتفعا يسمح بدخول الجمل والحيوانات الأخرى بأحمالها ومن هنا جاء المثل (اللي بدو الجمل بعلّي باب داره). وفي معظم بيوت الفلاحين ، كان هناك طابون لعمل الخبز وإعداد بعض أنواع الطعام ، وكذلك القن (الخم) لتربية الدجاج، وبيت لتربية الحمام يتكون من عيون (طواقي) تبنى على الجدران الجانبية أو تحت طفطاف السقف. كان في كثير من البيوت مرحاض، غالبا، لاستعمال النساء، وفي بعضها كان المرحاض للنساء والرجال. وفي الغالب كان الرجال يستعملون مراحيض المساجد أو الحواكير المحيطة بالقرية.

كان السقف مشكلة للفلاح إذ يحتاج إلى جذوع أشجار كبيرة لم تكن دائما متوفرة في القرية. وفي معظمها كانت من شجر الأثل والجميز. وتشكل هذه الأخشاب الحامل الرئيسي وتعرف باسم "الحمارة" في السقف وترتكز عليها أخشاب أقل سمكا وطولا تمتد بينها وبين الجدران على الجانبين بشكل مائل كي يسمح السطح بانسياب الماء بسهولة.

بيت الفلاح العادي بوجه عام مبني من قوالب الطين المجففة بحرارة الشمس. أما الأساسات فهي من الحجارة وكذلك الباب الرئيسي للبيت غالبا يبنى من الحجارة أيضا ويكون أعلاه إما على شكل قوس أو يعلوه لوح خشبي فوقه حجر أو طين.

وحين يفرغ البناء من وضع الحجر الأخير في قوس الباب الرئيس يقوم صاحب البيت بذبح كبش أو شاه أو ماعز أو عجل، كل حسب مقدرته، وتقام وليمة بهذه المناسبة يدعى إليها الأقارب والأصدقاء والجيران وكل من قدم يد العون في بناء البيت.

وبيت الفلاح لا يخلو من طابون لإعداد الخبز وطهي بعض الأكلات. بداخل الطابون "قحف" وهو الذي يتمّ بداخله إعداد الخبز يحمى بالنار حوله من الخارج ويوضع بداخله بعض الحجارة الصغيرة "زلط" أو "رضف" وهي قطع صغيرة من الفخار، توضع أقراص العجين عليها لتنضج وتصبح خبزا.

كما يوجد في الفناء (الحوش) عادة بجوار الطابون بيت صغير للدجاج يسمى "خم" وتربى فيه الصيصان. وتربية الدجاج أمر ضروري للفلاح وخاصة للنساء، فإلى جانب تزويد العائلة بالبيض واللحم، فإن المرأة تقوم ببيعها أحيانا كمصدر هام لتوفير النقود اللازمة لبعض المصروفات المنزلية البسيطة.

وفي إحدى زوايا الفناء يبنى موقد من الطين أو الحجارة لإعداد الطعام وخاصة، وجبة العشاء بعد يوم طويل من العمل الشاق في المزارع سواء شتاء في موسم الحرث والغرس، أو صيفا في موسم الحصاد والدرس في الجرون.

وفي وسط الفناء (صحن البيت) ، كانت تحفر"مطمورة" ، عمقها 2-3 أمتار وفتحتها ضيقة، ثم تأخذ في الاتساع من الأسفل كلما ازدادت عمقا. وهذه المطمورة كانت تستعمل لتخزين الحبوب وخاصة القمح. وتغطي جدرانها من الداخل بطبقة من "القصل" والتبن حتى يحفظ الحبوب من الرطوبة. أما الفتحة العلوية فتغطى بحجر مسطح وطبقة من الطين وتقفل بإحكام حتى لا تتسرب إليها مياه الأمطار. وتفتح حسب الحاجة.

أما غرف النوم، وخاصة الغرفة الرئيسة للعائلة، فكانت مزودة بالأشياء التالية: حامل وهو جزء من الجدار يوضع عليه الفراش من ألحفة وفرشات ووسائد، وحامل للملابس وربما في بعض الحالات يوجد صندوق من خشب أو حديد للملابس وفي الأربعينات بدأت تنتشر خزانات الملابس ولها أدراج مصنوعة من الخشب.

كما كانت تثبت في الجدران أعواد من الخشب كمشجب تعلق عليها الملابس الطويلة كقنباز الرجل وعباءته وثوب المرأة. وإلى جانب ذلك كانت تبني في الغرفة خابية أو اثنتان واحدة للقمح وأخرى للطحين، لها فتحة واسعة بأعلاها وفتحة صغرى بأسفلها. وربما تكون هناك خابية أخرى في غرفة مجاورة للقمح والشعير والذرة والأعلاف كالكرسنة والجلبانة.

ومن الداخل كانت غرف النوم تطلى بطين ناعمة ملساء أو بطلاء أبيض من الشيد، والأرضية إما من الأسمنت المخلوط برمل البحر أو من الطين المخلوط بنوع ناعم جدا من التبن يسمى "فروح". وكذلك الحال في الأروقة التي تستعمل للنوم صيفا. كما يحرص معظم الناس على إقامة "معرّش"، مغطى بسعف النخيل أو أغصان الأشجار، وربما أحيانا تغطيه شجرة عنب ، وما أجمل عناقيدها، والناس يستظلون بها وهم تحتها نيام في وقت القيلولة.

نسبة قليلة من السكان (3-5%) بيوتهم مبنية من الأحجار وسقفها من أخشاب قوية مستوردة، وأحيانا يبنى فوقها دور علوي يسمى "علية" ومن أشهرهم: الحاج علي أبو زينة، والحاج حسن محمد تمراز، سعيد أحمد إبراهيم جودة، يوسف عبد العزيز (حسنة) زقوت، الحاج عبد الهادي حميد، وبعض "العليات" مبنية من الطين المجفف للتوسع نظرا لأن مساحة البيت لا تسمح بالتوسع الأفقي مثل علية دار عبد الغني في الجودة.

وهناك بيوت كثيرة مبنية على نفس النمط ولكن ليس لها علية.

وفي الأربعينات من القرن الماضي أخذ يزداد عدد البيوت المبنية من حجارة الأسمنت والسقف المسلح (باطون) أو تسقف أحيانا بالقرميد ذي اللون الأحمر أو الرمادي. وكان في اسدود مصنع للقرميد يملكه الحفني من غزة ومعروف في البلدة ب "الحاج قرميد". المساكن الجديدة، كانت غالبا خارج حدود القرية القديمة، وبالتحديد إلى الشرق من الأسفلت، وبعضها لا يزال ماثلا إلى الآن ولكنه شبه مدمر.

المقامات الدينية

من المعالم الهامة باسدود والتي تستحق الذكر، المزارات الدينية أو ما تعرف بمقامات أولياء الله الصالحين والذين كانوا يتمتعون باحترام كبير ليس من سكان اسدود فحسب، بل من سكان القرى المجاورة. وكان الرحالة المسلمون الذين يزورون فلسطين يحرصون على زيارة هذه المقامات وذكروها في مؤلفاتهم. ومن أشهر هذه المقامات:

**أولا: مقام سلمان الفارسي** ، رضي الله عنه، وهو الصحابي المشهور الذي أشار على المسلمين بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، واعترافا له بصدق إيمانه ودوره الفعال في نصرة الإسلام، قال رسول الله عليه الصلاة والسلام "سلمان منا أهل البيت". والثابت تاريخيا أنه تولى إمارة المدائن بالعراق وظل بها حتى وفاته عام 36هـ. ولذلك اختلف الرحالة المسلمون والمحققون في صحة وجود ضريح سلمان الفارسي في اسدود، فمنهم من قبل الرواية مثل مصطفى الصديقي البكري (القرن الثاني عشرهـ). وهذا الاختلاف ينسحب على كثير من المقامات والمزارات الدينية في قرى فلسطين. وربما يكون الرأي القريب من الصواب أن كثيرا من هذه القرى، من باب التبرك، وإضفاء الأهمية على قريتهم، يدعون بل ويعتقدون بصحة هذه الروايات.

على أي الأحوال، كان هناك مزار لسلمان الفارسي في اسدود، وأقام عليه أحد الأمراء المماليك (في عهد السلطان الظاهر بيبرس قائد معركة عين جالوت 1260 م) مسجدا ونقش على بلاطة اسمه وتاريخ تشييده عام 667 هـ/1268 م، وفي أسفل المسجد توجد مغارة كان الزوار ينزلون إليها للتبرك. كما كان السكان ينزلون إليها وخاصة في أيام الأعياد الإسلامية (عيد الفطر وعيد الأضحى).

وبعض المحققين يعتقد أن صاحب هذا الضريح هو الصحابي المشهور عبد الله بن أبي السرح ، الذي كان أخاً بالرضاعة لثالث الخلفاء الراشدين ، عثمان بن عفان ، رضي الله عنه. وقد ولاه مصر ثم اعتزل الولاية وأقام في عسقلان حتى وفاته. وربما تكون هذه أقرب إلى الحقيقة، لقرب عسقلان من اسدود، فربما زارها وتوفي ودفن هناك. وهو قائد أول معركة بحرية إسلامية ذات الصواري عام 35هـ وقد انتصر فيها المسلمون على الأسطول الرومي.

**ثانيا: مقام المتبولي:** مبني أقيم على ضريح الشيخ إبراهيم بن علي المتبولي ، وهو مصري اشتهر بالتصوف وعمل الخير وعطفه على الفقراء وأبناء السبيل. أحبه الناس فقصدوه لقضاء حاجاتهم. وكان سلاطين المماليك لا يردون له شفاعة. وفي عهد السلطان قايتباي حدثت بينهما جفوة، فارتحل إلى بلاد الشام وحط به الترحال في جنوب فلسطين فنزل في اسدود، وكان ذلك في القرن التاسع هجري، وأقام بها حتى توفاه الله عام 877 هـ ودفن بها. وقد ترجم له ابن إياس في بدائع الزهور والسيوطي في نظم العقبان.

يتكون هذا المبنى من ثلاث غرف: واحدة منها للضريح، وأمام هذه الغرف رواق جميل تعلوه أقواس على النمط المعماري الإسلامي ، وكان يستعمل مصلى للزوار ، وعلى جداره نقش يفيد أن تاريخ تشييده عام 1275 هـ / 1858 م.

**ثالثاً: مقام أحمد أبي إقبال:** ويحيط بالمزارين المتبولي والفارسي سور له باب من الشرق وعلى بعد خمسين مترا جنوبي المزارين، يوجد مقام لأحمد أبي اقبال وله سور محيط به. لكن صاحب هذا المقام لا يعرف عنه الكثير غير الرواية الشعبية.

وكان يقوم على خدمة هذه المقامات الدينية الثلاث الشيخ جمعة جاد الله ، موظفاً من قبل دائرة الأوقاف الإسلامية في المجدل ، براتب شهري قدره جنيه فلسطيني واحد. وهذه المقامات الثلاث موجودة في الجنوب الغربي من اسدود وعلى بعد 100 متر من مدرسة اسدود للبنين. وإلى الغرب من هذه المقامات كان يوجد خان اسدود المشهور الذي تأسس في عهد السلطان الظاهر بيبرس. وكان بمثابة استراحة للرحالة المسلمين والأجانب والمسافرين، حيث كانت اسدود محطة بريد رئيسة على طريق مصر-الشام. وظل هذا الخان صالحا للاستعمال خلال العهد العثماني وكانت الدولة تجبي رسوما من النزلاء تعرف باسم "باج غفر" أي رسم الطريق لأن الدولة كانت تؤمن الطرق للمسافرين وقوافل التجارة.

وقد وصفه رحالة فرنسي (فيكتور غيران Victor Guerin) ، الذي زار اسدود في مايو 1863 ، وذكر بأنه نصب خيامه تحت أشجار النخيل والجميز ، على مسافة قصيرة جنوب المسجد. كانت توجد آثار خان مهجور على شكل مستطيل كبير وأمامه بهو جميل وأروقه مرتفعة تعلوها أقواس، وغرف علوية، ويتوسط المبنى فناء واسع، وبالمدخل عمود قديم من الرخام ممدود على الأرض كعتبة للباب. هذا الخان الجميل مبني بأحجار متوسطة الحجم جميلة ومتناسقة. ثم أضاف بأن عدم صيانة المبنى ورعايته دفعت بعض سكان القرية إلى تفكيك الحجارة لبيعها أو استعمالها في بناء بيوتهم، وفعلا بالتدريج أدى الإهمال إلى خراب المبني واندثاره تماماً. واستعمل كثير من حجارته في بناء الجامع الكبير عام 1928.

والجدير بالذكر أن الرحالة المصري مصطفى اللقيمي زار اسدود ونزل بالخان عام 1143 هـ / 1731 م ، ومن قبله زارها مصطفى الصديقي البكري عام 1125 هـ / 1713 م ومعنى ذلك أن الخان كان صالحا ومستعملا في القرن الثامن عشر. وقد ذكره الرحالة الفرنسي الشهير فولني الذي زار فلسطين وسوريا (1783-1785) ووصف غزة وقراها ومنها اسدود ، يبنا ، المسمية وغيرها بأنها مبنية من الطين وفقيرة وتعاني من الظلم والإهمال.

ويذكر الجغرافي الفرنسي غيران الذي زار اسدود 1863 ، أنه علم من أحد السكان أنه خلال حفره لزراعة الزيتون في منطقة التل (الراس) عثر على حجارة ضخمة من آثار السور الذي كان يحيط بالمدينة القديمة وقطعا عديدة من الأواني الفخارية. كما أخبره أحد الفلاحين عن وجود آثار قديمة على شاطئ البحر والتي تعرف باسم "مينة اسدود" فاتجه نحو البحر مع دليل يرشده إليه. وبعد ساعة سيرا على الأقدام ، وكانت رحلة مجهدة ، على كثبان الرمال ، وصل إلى موقع الآثار، فوجد قلعة مهجورة. أما المدينة فقد اندثرت تحت كثبان رمال وشاهد كثيرا من قطع الفخار متناثرة هنا وهناك. أما القلعة فلا تزال ماثلة وترتفع بقاياها فوق الرمال ومساحتها 80 قدما طولا و53 قدما عرضا. وفي أحد جانبيها يوجد برج. كما توجد آثار لأبراج كانت قائمة على كل زاوية من المبنى. وبرجان آخران عند البوابة الرئيسة، وللقلعة بوّابتان: أحداهما تجاه الشرق، والأخرى تجاه الغرب تطل على البحر. حجارة المبنى صغيرة ومتجانسة ومتناسقة الأحجام ومتراصة، ويوجد بجانبها بئر، ثلاثة أرباعه مدفون بالرمال. وبعد ساعة غادر المكان عائدا إلى المخيم الذي أقامه بجوار المقامات والخان.

وليس مستبعدا أن تكون هذه القلعة من آثار "ماحوز اسدود" التي ذكرها المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم ، والتي كانت أحد الربط الإسلامية التي بنيت في العهد الفاطمي على شاطئ البحر لمراقبة السفن الصليبية ، التي كانت تحاول مجددا غزو البلاد بعد انتصارات صلاح الدين الأيوبي، في معارك حطين والقدس وعسقلان.

هذه المقامات كان لها أرض وقف ريعها مخصص للصرف عليها وصيانتها. وقد شجرت بالحمضيات في عهد الانتداب البريطاني. وبعد الاحتلال الصهيوني اقتلعت أشجار الحمضيات وزرع مكانها شجر الزيتون. أما بالنسبة للمقامات ، فقد تم تدميرمقامي ابراهيم المتبولي وسلمان الفارسي نهائياُ ، وسويت أرضهما للزراعة في أواخر القرن الماضي. وبالنسبة لمقام أحمد أبو اقبال ، فلا تزال آثار منه ماثلة حتى الآن.

القرى المجاورة

كانت اسدود وأراضيها محاطة بعدد من القرى التابعة لقضاء غزة وكانت على علاقة طيبة مع سكانها قائمة على الود والاحترام والمصاهرة وتبادل الزيارات والتهاني في المناسبات الاجتماعية ، والمواساة في الأتراح. وكان العديد من أبناء هذه القرى يدرسون بمدرسة اسدود الابتدائية . وخلال سنوات الكفاح الوطني : ثورة (1936-1939) وحرب ( 1947-1948) ، اختلطت دماء المناضلين من جميع القرى في كفاحهم على تراب هذا الوطن . ففي الجنوب ، تقع قرية **حمامة** على بعد حوالي 7-8 كيلو مترات ، وسكانها حوالي خمسة ألاف نسمة ، ومساحة أراضيها حوالي (41) ألف دونما ، وأهلها طيبون وشجعان. وفي الجنوب الشرقي تتاخم أراضي قرية **بيت دراس** أراضي أسدود ، ويبلغ عدد سكانها قبيل النكبة حوالي (2800) نسمة ، وأهلها مشهود لهم بالكرم والشهامة ، ومساحة أراضيها حوالي 16 ألف دونم.

وفي الشرق تقع أراضي قريتي **البطاني الغربي وبرقا** ، بلغ عدد سكان البطاني في 1948 حوالي ألف نسمة ، وهم على علاقات وثيقة وطيبة مع أهل اسدود ، ومساحة أراضيها حوالي (4500) دونما .أما برقه فعدد سكانها حوالي الألف نسمة . ومساحة أراضيها حوالي (5200) دونما . وكثير من أبناء القريتين كانوا يدرسون في مدرسة اسدود . ومن الشمال تتاخم أرض أسدود أراضي قرية بشيت التابعة لقضاء الرملة. ومن الشمال والغرب تحيط بأرض أسدود أراضي **عرب أبو سويرح** سكان منطقة سكرير(صقرير) الواقعة على جانبي نهر سكرير ، وأصلهم من بدو سيناء من **عرب "الملالحة"** بلغ عددهم قبيل النكبة حوالي (400) نسمة ، بينما بلغت مساحة الأرض حوالي أربعين ألف دونما في الأراضي الزراعية وفي الرمال . كان بعضهم يرسلون أبناءهم إلى مدرسة اسدود الابتدائية ، وكانوا يترددون على اسدود بشكل مستمر وخاصة يوم السوق الأسبوعي لقضاء حاجاتهم المنزلية . وإلى الغرب من وادي العسل يسكن في منطقة الشادوف ، الوقعة في أطراف الأراضي الرملية ، بضع عائلات من البدو يقال لهم **عرب "المنايعة"** وأراضيهم مزروعة بالعنب والتين وكانت علاقتهم وثيقة جدا بحمولة الجودة ، وخاصة عائلة البيومي. وينتسبون إلى **عرب روبين ،** ومن أشهرهم عائلة **أبو خوصة.**